

مستقبل سياسة الجوار الأوروبية إعادة توجيه الأولويات: العودة إلى الأساسيات لتقييم الحقوق الأساسية

رابحة علام

خبيرة، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية (ACPSS)

تم تصميم وإطلاق سياسة الجوار الأوروبية (ENP) في عام 2004 من أجل توسيع فرص الاستقرار والأمن والازدهار للدول المجاورة لأوروبا، في كل من الجنوب والشرق. علاوة على ذلك، وكبديل لسياسة التوسعة التي تم تطبيقها سابقاً على دول محددة في طريقها للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، كان من المتوقع أن تحقق سياسة الجوار الأوروبية الكثير بموارد أقل بين مجموعة أوسع من البلدان (فراي، 2017). وفي هذا الصدد، فإن تقييم مدى فعالية سياسة الجوار الأوروبية كان دائماً مهمة صعبة، وخاصة في ظل الظروف المتغيرة. على الرغم من تنفيذها عدة مرات في الأعوام 2011 و2015 و2021 لتحسين استهداف أولويات التعاون بين الاتحاد الأوروبي وشركائه الجنوبيين، فإن فعالية سياسة الجوار الأوروبية تظل موضع شك على نطاق واسع.

تأثير متصور منخفض

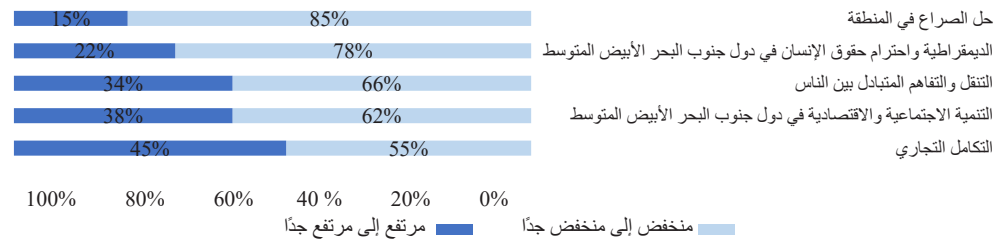
بناءً على أرقام مسح يوروميد يوروميسكو في عام 2023، فإن غالبية المشاركين القادمين من كيانات رسمية ومستقلة في شمال وجنوب البحر الأبيض المتوسط يعتقدون أن فعالية سياسة الجوار الأوروبية منخفضة في العديد من مجالات العمل، ويأتي حل النزاعات على رأس هذه المجالات حيث يرى 85% من المشاركين أن تأثير سياسة الجوار الأوروبية في المنطقة إما منخفض أو منخفض جداً. ومن المنطقي تماماً أن نحصل على مثل هذه النتائج نظراً للحرب المستمرة التي تحصد أرواح الآلاف من المدنيين في غزة، وعجز كافة الأطراف الفاعلة، وخاصة الاتحاد الأوروبي، عن اقتراح وتنفيذ الخطط المناسبة لوقف إطلاق النار. عندما تم إطلاق التعاون عبر البحر الأبيض المتوسط لأول مرة في برشلونة عام 1995، فقد ولد في سياق من التفاؤل بتحقيق السلام والازدهار للمنطقة بأكملها. وعلى هذا فإن تقييم مدى فعالية أداة الاتحاد الأوروبي الرئيسية لهذا التعاون في

تقييم مدى فعالية أداة
الاتحاد الأوروبي
الرئيسية لهذا التعاون في
خضم حرب مدمرة على
الشاطئ الجنوبي لن
يساعد إلا في التشكيك
في سبب وجودها.

خضمت حرب مدمرة على الشاطئ الجنوبي لن يساعد إلا في التشكيك في سبب وجودها. بالإضافة إلى ذلك، كان الاتحاد الأوروبي، إلى جانب شركائه، عاجزاً في حل العديد من الصراعات الممتدة في الجنوب، سواء كان ذلك في سوريا أو ليبيا، واكتفى فقط باقتراح أدوات لاحتواء الصراع لوقف انتشاره.

كما تمت ملاحظة التأثير المنخفض لسياسة الجوار الأوروبية على الجوار الجنوبي في مجال الديمقراطية وتعزيز حقوق الإنسان بنسبة 78%، والتنقل والتفاهم المتبادل بنسبة 66%، والتنمية الاجتماعية والاقتصادية بنسبة 62%، والتكامل التجاري مع الاتحاد الأوروبي بنسبة 55%. تقليدياً، كان هناك قناعة مشتركة بضرورة إجراء مقايضة براغماتية في العلاقات الأورو-متوسطة، ومن أجل تعزيز الاستقرار والمزايا الاقتصادية، ينبغي ترك الركيزة السياسية المتمثلة في تعزيز الديمقراطية في الخلف. غير أن نتائج المسح تتحدى هذه القناعة من خلال إظهار أنه لم يكن الاستقرار ولا تعزيز الديمقراطية من بين أكبر النجاحات التي حققتها التعاون الجنوبي لسياسة الجوار الأوروبية كما يراها المشاركون. بل على العكس من ذلك، يبدو أن الحفاظ على الاستقرار من خلال حل الصراعات وتعزيز الديمقراطية أكثر تشابكاً مما كان متوقفاً تقليدياً؛ في حين كان هناك قدر أقل من عدم الرضا عن تأثير سياسة الجوار الأوروبية في المجال الاقتصادي وخاصة في التكامل التجاري والتنمية الاجتماعية والاقتصادية. ومن ثم فإن التعاون الفني البراغماتي على المستوى الاقتصادي قد أتى بثماره إلى حد ما في ربط الضفتين من خلال المشاريع التجارية والتنمية.

الرسم البياني 1: س 1: لقد تم تصميم سياسة الجوار الأوروبية قبل 20 عامًا. وأصبحت الإطار الهيكلي للعلاقات الأورو-متوسطة. منذ ذلك الحين، إلى أي مدى تعتقد أنها أثرت بشكل فعال على المجالات التالية؟

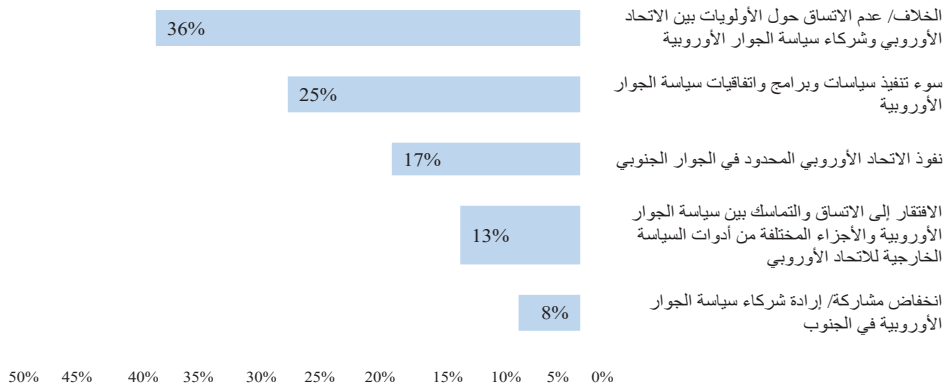


مصدر: تم إعداده بواسطة المعهد الأوروبي للبحر الأبيض المتوسط بناءً على نتائج المسح الأورو-متوسطي يوروميد الرابع عشر

قد يرى البعض أن العقبة الرئيسية التي تعيق سياسة الجوار الأوروبية الفعالة هي الخلاف حول تحديد أولويات التعاون بين الاتحاد الأوروبي والشركاء الجنوبيين (حوالي 36.2% من المشاركين). قد يكون التفسير الأول لهذا الرقم هو رفض حكومات الجنوب المستمر لأي إملاءات فيما يتعلق بحكمها الداخلي عندما يتعلق

الأمر بحقوق الإنسان والعملية الديمقراطية. ومع ذلك، فإن الخلافات قد تنبع أيضاً من تركيز الاتحاد الأوروبي على مشكلة الهجرة غير النظامية في مقابل البعد التنموي الذي يهتم به الشركاء الجنوبيون بصورة أكبر.

الرسم البياني 2: س1 بشكل عام أو فيما يتعلق بالمجالات المحددة المذكورة أعلاه. لماذا تعتقد أن تأثير سياسة الجوار الأوروبية كان محدوداً؟ تم تطوير الفئات من أسئلة مفتوحة



المصدر: تم إعداده بواسطة المعهد الأوروبي للبحر الأبيض المتوسط بناءً على نتائج المسح الأوروبي-متوسطي يوروميد الرابع عشر

في الوقت نفسه، يرى ما يقرب من 25% أن هناك عقبة تكمن في سوء تنفيذ برامج سياسة الجوار الأوروبية والتي تمنعهم من تحقيق النجاح المتوقع. في كثير من الأحيان، يتطلب تنفيذ برامج الاتحاد الأوروبي مستوى صارماً ومتطوراً من المؤسسات التي قد لا تكون منتشرة بين الشركاء الجنوبيين سواء بالنسبة للكيانات الحكومية أو غير الحكومية. وتتطلب هذه الحقيقة عادةً عمليات أطول للتكيف والتنسيق قد تستغرق وقتاً طويلاً، مما يقلل بالتالي من الفوائد المتوقعة من التعاون. لكن، يرى قطاع آخر من المشاركين أن العقبات تكمن في ضعف نفوذ الاتحاد الأوروبي في الجوار الجنوبي، وانخفاض مشاركة الشركاء الجنوبيين في عملية سياسة الجوار الأوروبية، والافتقار إلى الاتساق والتماكب بين سياسة الجوار الأوروبية وأجزاء أخرى من أدوات السياسة الخارجية للاتحاد الأوروبي، حيث بلغت النسبة 17.3% و 8.5% و 13.5% على التوالي. يمكن تجميع هذه العوامل الثلاثة الأخيرة لفهم ديناميكية المنافسة التي قد يواجهها دور الاتحاد الأوروبي في المنطقة بالمقارنة مع جهات فاعلة أخرى مثل الولايات المتحدة أو روسيا أو الصين. ومن المفهوم أن صياغة وتنفيذ سياسة وطنية بحكم تعريفها أسهل بكثير من صياغة وتنفيذ سياسة جماعية لاتحاد دول. ولذلك، فإن أدوات السياسة المختلفة التي يطبقها هؤلاء المنافسون قد تبدو أكثر اتساقاً وانسجاماً مع سياستهم الخارجية، والتي تولد بطبيعة الحال تأثيراً ومشاركة قوية من دول الجنوب.

قد يواجه دور الاتحاد الأوروبي ديناميكية المنافسة في المنطقة بالمقارنة مع السياسة الجماعية لاتحاد الدول، يمكن للولايات المتحدة أو روسيا أو الصين بسهولة صياغة وتنفيذ أدوات سياسية متسقة ومتناغمة مع سياستها الخارجية

تساؤل مصداقية الاتحاد الأوروبي في الجنوب

بصرف النظر عن الأرقام الصارمة التي قدمها المسح، هناك أزمة مصداقية حقيقية تواجه دور الاتحاد الأوروبي في الجوار الجنوبي فيما يتعلق بتبني مواقف مختلفة تجاه قضايا مماثلة (فنتوري وفاليانانو، 2022). إن ردود الفعل المختلفة الصادرة عن بروكسل والعواصم الأوروبية الأخرى بشأن الحرب في غزة أضرت بشكل كبير بصورة الاتحاد الأوروبي، خاصة عند مقارنتها بردود الفعل السابقة على حرب أوكرانيا. إن رئيسة المفوضية الأوروبية فون دير لاين، التي سلطت الضوء على حق إسرائيل في الدفاع عن النفس دون حثها بنفس القدر على احترام القانون الدولي، أعطت الانطباع بأن السياسة الخارجية للاتحاد الأوروبي تخضع لوجهات نظر شخصية، وليس لقرارات مؤسسية. وبالمثل، فإن القرار المخصص بتعليق المساعدات الإنسانية الأوروبية لغزة الذي اتخذ خلال الأسبوع الأول من الحرب تم اعتباره على نطاق واسع في دول الجنوب العربي موقفاً متحيزاً يدعم تلقائياً إسرائيل في عقابها الجماعي ضد غزة (واكس وباريجازي، 2023). ومن ثم، فقد مرت القرارات التالية بزيادة مساعدات الاتحاد الأوروبي للفلسطينيين دون أن يلاحظها أحد، وظل تأثير ردود الفعل الأولى أطول (لينش، 2023).

لقد أدت هذه الرسائل المتضاربة القادمة من الاتحاد الأوروبي إلى زيادة شعبية الحجج المناهضة للاستعمار التي تم تقديمها سابقاً لانتقاد سياسة الجوار الأوروبية في الجنوب. تم تقديم جميع التفسيرات الاستعمارية لتبرير المواقف المختلفة التي أظهرها الاتحاد الأوروبي تجاه الحروب في أوكرانيا وغزة (جراي، 2023). تقليدياً، كان يُنظر إلى الاتحاد الأوروبي باعتباره وسيطاً محايداً وضامناً موثقاً لعملية السلام في الشرق الأوسط. لكن في الآونة الأخيرة، تم تجميع المواقف الأمريكية والأوروبية باعتبارها مواقف غربية متحيزة تدعم إسرائيل وتغض الطرف عن الكم الهائل من الضحايا المدنيين في غزة. يُنظر إلى وسائل الإعلام الغربية على أنها منحازة تماماً عندما تتبنى الرواية الإسرائيلية للحرب وتستبعد الرواية الفلسطينية بشكل شبه كامل (شحاتة، 2023). لا يتم تقييم الحقوق الأساسية للبشر على قدم المساواة ولكن وفقاً لجنسيتهم ولون بشرتهم (جونز، 2023). لقد تم استخدام المعايير المزدوجة والتحيز الإعلامي والاستعمار في كثير من الأحيان لوصف موقف الحكومات الغربية مع القليل من التمييز فيما بينها.

في هذه الأثناء، استقبلت مواقف إسبانيا وإيرلندا والبرتغال وبلجيكا التي تصر على استمرار المساعدات الإنسانية للفلسطينيين، على أنها مواقف فردية لا تمثل الكتلة الأوروبية برمتها. ومع ذلك، فإن هذه المواقف أكثر ولاءاً للموقف التقليدي للاتحاد الأوروبي في الوقائع السابقة من صراع الشرق الأوسط ولا ينبغي اعتبارها استثناءً (قسام، 2024).

وفي رسالة مفتوحة، دعت مجموعة من المثقفين العرب المثقفين الغربيين إلى إظهار تمسكهم الحقيقي بالقيم العالمية المتمثلة في الحرية والعدالة والكرامة الإنسانية وحقوق الإنسان، من خلال إعلان تضامنهم مع القضية الفلسطينية. وأكدت الرسالة التي وجهها مجموعة من الكتاب والباحثين والفنانين والشعراء،

تقليدياً، كان يُنظر إلى الاتحاد الأوروبي باعتباره وسيطاً محايداً وضامناً موثقاً لعملية السلام في الشرق الأوسط. لكن في الآونة الأخيرة، تم تجميع المواقف الأمريكية والأوروبية على أنها مواقف غربية متحيزة تدعم إسرائيل وتغض الطرف عن الكم الهائل من الضحايا المدنيين في غزة.

على فجوة كبيرة بين خطاب الثقافة الغربية والمواقف الفعلية للمثقفين الغربيين، ناهيك عن الحكومات الغربية (العروبة 22، 2023). وشكك آخرون في درجة شمولية الديمقراطية الغربية، والتي عادة ما يتم تقديمها كمثال يحتذى به، إذا كانت وسائل الإعلام متحيزة ولم تؤخذ آراء حركات السلام التي تدعو إلى وقف إطلاق النار بعين الاعتبار عند اتخاذ قرار بشأن السياسة الخارجية الوطنية أو الأوروبية.

وبالتالي، فإن تداعيات هذه الحرب المستمرة في غزة لم تضر بشرعية الاتحاد الأوروبي كقوة معيارية فحسب، بل أضعفته أيضاً كشريك ذي مصداقية إذا ما قورن بأطراف فاعلة أخرى. على سبيل المثال، كان يُنظر إلى روسيا والصين في الجوار الجنوبي على أنهما أقل تحيزاً تجاه الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وبالتأكيد أقل تطلباً فيما يتعلق بتعزيز الديمقراطية. وفي سياق العداء المتسارع تجاه الغرب، يبدو كلا البلدين شريكين مثاليين للمنطقة ليحلا محل جيرانهما الشماليين، وخاصة في العلاقات التجارية والمشاريع التنموية.

تداعيات هذه الحرب المستمرة في غزة لم تضر بشرعية الاتحاد الأوروبي كقوة معيارية فحسب، بل أضعفته أيضاً كشريك ذي مصداقية إذا ما قورن بأطراف فاعلة أخرى

بالإضافة إلى ذلك، فإن الحرب المستمرة في الجوار لا تخدم بأي حال من الأحوال الهدف الرئيسي لسياسة الجوار الأوروبية فيما يتعلق بنشر السلام والازدهار في الجوار الجنوبي. بل على العكس من ذلك، فإن إراقة الدماء المستمرة في غزة تزيد من جاذبية استخدام العنف على المستويين الإقليمي والمحلي. فمن ناحية، تزداد شعبية الجهات الفاعلة غير الحكومية المشاركة في الصراع في نظر الناس، حيث لا توجد آلية أخرى لتحقيق العدالة لفلسطين. ومن ناحية أخرى، يُنظر إلى إيران، باعتبارها الداعم الرئيسي لهذه الجهات الفاعلة غير الحكومية، على أنها القوة الإقليمية الوحيدة القادرة على دعم الفلسطينيين عسكرياً، عندما يتم حظر قنوات الدعم الأخرى. علاوة على ذلك، فإن إراقة الدماء المستمرة تشكل حجة مثالية لسهولة إساءة استخدام المظالم من قبل الجماعات المتطرفة العنيفة لتجنيد الشباب لمهاجمة الحكومات المحلية أو المصالح الغربية في المنطقة. وبصرف النظر عن الهجمات المنظمة التي يتم التخطيط لها ودعمها بشكل مباشر من قبل الجماعات المتطرفة العنيفة، فمن المرجح جداً أن تحدث هجمات الذئاب المنفردة في دول جنوب وشمال البحر الأبيض المتوسط.

الخاتمة: سبل الخروج من الاستقطاب

يمكن أن تكون الأزمات لحظة مثالية لتقديم البدائل والفرص. كانت أزمة جائحة كورونا كوفيد-19 - بمثابة فرصة لإدراك أن مفهوم سلاسل التوريد الأقصر والأقرب يمكن أن يجعل شمال وجنوب البحر الأبيض المتوسط أقرب إلى شراكات تجارية معززة. وكانت حرب أوكرانيا مناسبة للاتحاد الأوروبي للبحث عن صفقات طاقة أفضل على الشواطئ الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط. وابتاع نفس المنطق، فلا بد وأن ننظر إلى الحرب في غزة باعتبارها فرصة للاتحاد الأوروبي للتأكيد على قوته المعيارية وللمساعدة في فرض العدالة والحرية واستعادة احترام حقوق الإنسان والحقوق الأساسية.

وجود نفوذ سياسي قوي لا بد وأن يقود المنطق الذي تقوم عليه سياسة الجوار الأوروبية لضمان عدم التسامح مع العنف غير المتناسب إلى حد كبير في هذا المجال

لا بد من طرح نهج الاحتياجات الأساسية في الوضع الحالي لإعادة إحياء مصداقية الاتحاد الأوروبي المتضائلة. وجود نفوذ سياسي قوي لا بد وأن يقود المنطق الذي تقوم عليه سياسة الجوار الأوروبية لضمان عدم التسامح مع العنف غير المتناسب إلى حد كبير في هذا المجال إذا أردنا أن نفكر في أفضل الآليات والأدوات اللازمة للتعاون والاعتماد المتبادل على المدى الطويل. كان يُنظر عادة إلى المكونات المختلفة لسياسة الجوار الأوروبية على أنها تعمل بشكل متوازٍ، وليس في نمط هرمي من التقدم. لكن هذه الحرب المدمرة في غزة يجب أن تكون بمثابة قاطرة لتعزيز أهمية المكون السياسي كشرط أساسي لضمان قدرة المكونات الأخرى على التقدم.

عند إعادة توجيه أولويات سياسة الجوار الأوروبية، لا يمكن أن يفكر للمرء أن يفكر في حلول أفضل لتغيير المناخ وإزالة الكربون من دون التفكير أولاً في استعادة قيمة الحياة البشرية.

لذلك، عند إعادة توجيه أولويات سياسة الجوار الأوروبية، لا يمكن للمرء أن يفكر في حلول أفضل لتغيير المناخ وإزالة الكربون من دون التفكير أولاً في استعادة قيمة الحياة البشرية. إن حماية المدنيين، ومنع تهجيرهم القسري، وضمان وصولهم الآمن إلى المساعدة الإنسانية، يجب أن تأتي على رأس جميع الأولويات. ينبغي الحفاظ على المنظمات الإنسانية وإبعادها عن التسييس أو الاستقطاب؛ ولا ينبغي استخدام تمويلها كورقة مساومة في العقاب الجماعي، بل يجب زيادة مواردها بدلاً من تقليلها (عبيد، 2024).

وفي مثل هذا السياق الخطير من الاستقطاب والعسكرة في الجوار الجنوبي، فإن آخر ما تحتاج إليه المنطقة هو اتحاد أوروبي متحيز ينحاز إلى أحد الجانبين. بل على العكس من ذلك، فإن الخيار الأفضل بالنسبة للاتحاد الأوروبي يتلخص في استعادة دوره باعتباره وسيطاً عادلاً ومستعداً بمصداقية لاستخدام نفوذه لوقف الحرب وتشجيع السلام. الموقف المتوازن للاتحاد الأوروبي سيساعد في تمهيد الطريق لخلق الظروف المناسبة التي تؤدي إلى خطة مفصلة لوقف إطلاق النار، والوصول الدائم والأمن للمساعدات الإنسانية إلى غزة وخطة شاملة تربط هذه الخطوات بالحل النهائي للدولتين. ولن تساعد الحلول الجزئية الأخرى في احتواء الصراع بعد الآن؛ بل من شأنها أن تخلق حلقات متتالية وأوسع من المواجهات ومن المرجح أن تمكن المتطرفين من كل جانب من المضي قدماً في خططهم.

المراجع:

- عبيد، هناء (2024). الأونروا نهاية الاستثناء الإنساني! (باللغة العربية) الأهرام، 7 فبراير (شباط) 2024.
<https://gate.ahram.org.eg/daily/NewsQ/931336.aspx>
- فرايبي، سي (2017)، سياسة الجوار الأوروبية وتحدي جنوب القوقاز، في مليحة ب. ألتونسليك وأوكتاي ف. تانريسفير (محرران)، جنوب القوقاز - الأمن والطاقة والأوروبية، روتليدج
<https://doi.org/10.4324/9781315717821>
- غراي، أ. (2023) يواجه الاتحاد الأوروبي عداءً إسلاميًا متزايدًا بشأن موقفه من الحرب في غزة - بوريل، رويتزر، 21 نوفمبر (تشرين الثاني). -
<https://www.reuters.com/world/europe/eu-faces-growing-muslim-animosity-over-gaza-war-stance-borrell-2023-11-21/>
- جونز، م. ج. (2023) المعايير المزدوجة تقوض شرعية الاتحاد الأوروبي في الجنوب العالمي - رئيس مراقبة حقوق الإنسان. يورونيوز، 26 أكتوبر (تشرين الأول)
<https://www.euronews.com/my-europe/2023/10/26/double-standards-undermine-eu-legitimacy-in-global-south-human-rights-watch-chief>
- قاسم، ع. (2024). إيرلندا وإسبانيا من بين دول الاتحاد الأوروبي التي تتبنى وجهة نظر مختلفة بشأن حرب غزة. الغارديان، 13 فبراير (شباط)
<https://www.theguardian.com/world/2024/feb/13/ireland-and-spain-among-eu-nations-striking-a-different-note-on-gaza-war>
- لينش، س. (2023) الاتحاد الأوروبي يضاعف تمويله لغزة ثلاث مرات بعد أسبوع من الرسائل المتضاربة بشأن الأزمة الإسرائيلية. بوليتيكو، 15 أكتوبر (تشرين الأول)
<https://www.politico.eu/article/eu-triple-funding-humanitarian-aid-gaza-israel-hamas-conflict-crisis/>
- شحاتة، د. (2023). كيف رأى الإعلام الغربي والرأي العام الحرب في غزة؟ (باللغة العربية) المركز العربي للدراسات السياسية والاجتماعية، 23 أكتوبر (تشرين الأول)
<https://acpss.ahram.org.eg/News/21033.aspx>
- في. أ. (2023) المثقفون العرب إلى المثقفين الغربيين: لا تتجروا إلى تزييف نضال الشعب الفلسطيني. في العروبة 22، 24 أكتوبر (تشرين الأول) 2023، رابط قصير: t.ly/X4Ljm
- فينتوري، إي.، فاليناتو، أ. أي. (2022). أوكرانيا تكشف معايير أوروبا المزدوجة تجاه اللاجئين. تشاتام هاوس، 30 مارس (آذار) 2022.
<https://www.chathamhouse.org/2022/03/ukraine-exposes-europes-double-standards-refugees>
- واكس، إي.، باريجازي، جي. (2023). فون دير لايين اتهمت بالتحيز غير المقبول تجاه إسرائيل. بوليتيكو، 14 أكتوبر (تشرين الأول)
<https://www.politico.eu/article/von-der-leyen-visit-israel-gaza-hamas-conflict-bias/>